مكانة الشعر في كيان الامم

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

رغبنا الى الدكتور شهبندر في كتابة فصل يكون بمثابة مقدمة للمجموعة التي ننشرها في هذا العدد عن شوقي وحافظ فتحفنا بهذا المقال الادبي الاجتماعي البليغ

الكلام

ان اليوم الذي اطلق فيه البشر على الاشياء والاجناس اسماء هو يوم سجلوا فيه تاريخ انتقالهم من صف العجماوات ودخولهم في المرتبة الانسانية . وشأن هذه الكلمات التي ندعوها اسماء شأن في الامم مقدس خطير حتى ان النصرانية تقول عن «الكلمة» بلسان يوحنا (انها كانت في البدء) . ذلك لانها وجدت مع الفكر المجرد الازلي الذي لا يحيط به ادراك ولا يحصره وعي ، فهي الاصل وكل شيء سواها عارض . وتشبه «الكلمة» بهذا المعنى «الفكرة» في حكمة افلاطون لان الفكرة المجردة عنده هي الحقيقة الدائمة وما عداها صورة ممسوخة . لكن الافكار يعبر عنها بالكلام ايضاً فلا غرو ان تكون «الكلمة» هي الحقيقة الخالدة بقدر انطباقها على الواقع . وفي الاسلام ان الله خلق آدم من التراب ، فلو تركه وشأنه ما اختلف عن سائر المخلوقات الحية في شيء ولكنه اعتنى به عناية خاصة فوضعه في مدرسة الالفة والاجتماع حيث علمه الاسماء كلها فلما اتقنها وبرع فيها نال شهادة الكفاءة الانسانية فاذن له تتوجها ان يمارس صناعة الابوة البشرية ، ومن احق بها منه يا ترى وقد اصبح قادراً بالانات والآهات على بيان الآلام التي يعانيها وبالكلمات المنسجمة على الافصاح عن اعمق الاسرار التي تختلج في صدره

ولو كتب على هذا البشر ان ينشأ ويتدرج بطريق النظر بالعين فقط من غير اذن يسمع بها ولسان ينطق به فماذا تكون حاله ؟ انه يكون كالصم البكم الذين نشاهدهم من حين الى آخر فيما بيننا بل هو اضعف منهم وادنى مرتبة ، ذلك لان هؤلاء قد استفادوا عرضاً من ارتقاء البشر حولهم بما حصلوا عليه من الخصائص التي اكتسبوها بطريق الاذن واللسان

ولا مراء ان الصم البكم احد نظراً وأدق لمساً وذوقاً وأقدر على فهم الحركات وقراءة اسارير الوجه وحفظ الذكريات الا انهم حسبهم ان يفقدوا المعاني الادبية التي يؤديها الكلام ليفقدوا معها كل ميزات الثقافة الرفيعة ، واللغة شمس مشرقة على الآفاق لكن الاذن الصماء كالعين العمياء لا ترى نورها الساطع

لولا «الكلمة» التي نطق بها هذا المخلوق المنتصب على رجليه اسماً للاشياء التي رآها لكان مستواه العقلي على قدر المستوى الرياضي في القبائل الابتدائية المعاصرة التي لا تعرف للاعداد ارقاماً لتجمع بها او تطرح او تضرب او تقسم، فكما انهُ لا مجال بينها للحساب والجبر والهندسة وما تفرَّع منها من العلوم الرياضية العالية كذلك لا مجال بين هؤلاء للكم للادب والموسيقى والعلوم وما تفرع منها . اولئك لا يملكون الواحد القياسي في الرياضيات وهو الرقم ، وهؤلاء لا يملكون الواحد القياسي في الادراك وهو الكلمة

الشعر والكلمة

فاذا كان هذا شأن اول «كلمة» نطق بها الانسان فيهمنا كثيراً ان نعرف كيف تيسَّر له ذلك ، وكيف توصل الى ربط الاصوات بالافكار ولصق الاسماء بالمسميات حتى صار قادراً على التفكير الادراكي بطريق المبتدأ والخبر . وان الشاعر ليطرب كثيراً ان يعلم ان للمواقف الشعرية والمعاني الشعرية والاوزان الشعرية القدح المعلى في استيحاء هذه «الكلمة» التي كانت فصل الخطاب بين دورين جوهريين في حياتنا البشرية

يعتقد الذين اختصوا في اللغات وتتبعوا اصولها بأن الاعياد والمراقص والمآتم والمفاخر والمجازر وسائر العادات والمواقف الشعرية المؤدية الى الافراح والاتراح الاجتماعية خصوصاً الصياح الجوقي المشترك كخوار الثيران المجتمعة ، هذا كله المصدر الدائم الى النطق . ومتى كان الصوت الجوقي صادراً عن انفعالات نفسية — كالهتاف او الصراخ في حالة التهيج — يتخذ شكلاً موزوناً ويتكرَّر على اصول متناسبة . وبعض الحيوانات لا يقتصر على فهم ما يؤمر به فقط «كتعال» و «نم» و «كل» بل يصيح بما يشبهُ «الوصفة» ينادي بها الفرد فتجيب عليها الجماعة «بالردة» . وهذا الافصاح عن الشعور بالاصوات النبرية البسيطة يشترك فيه كثير من اصناف الحيوان وقد تدرَّج في الانسان في أول الامر غالباً من صراخ او جؤار فطري الى غناء جوقي مشترك ثم الى كلام مقطع صريح [1] والراجح ان كثيراً من هذه الاصوات الجوقية المحولة الى غناء بسيط كان في اول الامر حكاية اصوات حيوانات وأشخاص يحكيها الجوق مجتمعاً ويقلد اعمال اصحابها بالاشارات وبالرقص «البنتوميمي» الصامت. وهكذا متى اقترنت بعض الاصوات بأشياء بعينها او بجنس منها اقتراناً متلازماً متكرراً بحيث يصير هذا الاقتران عادة ماثلة في النفس فان مجرد ذكر هذه الاصوات يعيد الى الذهن صورة تلك الاشياء اما بمفردها او بجنسها الجامع — والصورة الجنسية هذه هي عماد الادراك الانساني . ويعدّ هذا التلازم او الاقتران المعنوي العلامة القطعية على توطد اركان النطق

اذن فالبواعث الحافزة الى الاجتماع والمؤدية الى الافراح والاتراح وما اليها من المواقف

(1) Elements of Sociology, Giddings, p 240

الشعرية الطافحة قد زودت البشر بأسباب النطق وسلحتهم بأمضى سلاح شقوا به الطريق من الظلمة إلى النور . ذلك أنهم بحصولهم على النطق « قد خطوا اخطر خطوة في رفع حياتهم الاجتماعية إلى مستوى جديد في التركيب والكمال »[1]

القصائد الاولى

واذا كان النطق الاول شبيهاً بالشعر في النبرة والوزن فهل من سبيل يا ترى الى معرفة « القصائد » التي تلاها الاوائل قبلما اهتدوا إلى فن التدوين ؟ وما هي الموضوعات التي تناولوها بقصائدهم ؟ وان درس الاقوام الابتدائية المعاصرة وتتبع القصص التي يسمعها الاطفال المتمدنون في احضان امهاتهم حتى في قلب البلدان المتمدنة كل ذلك يجيز لنا القول بان الانسان الاول نطق بالاوزان وان تكن غير مقفاة ؛ وتناولت « قصائده » أخبار الظفر بالحيوانات وخوفها من الشرك الذي وقعت فيه وسعيها للخلاص منه وارتماشها عند الذبح مع حكاية اصواتها من شهيق ونهيق وخوار وعواء وزئير وغير ذلك مما يؤلف جزءاً ضافياً من معاجم الامم

وتناولت هذه القصائد في تناولته اخبار الاعياد والولائم القائمة على لحوم هذه الحيوانات وما تؤدي اليه من مرح وبطر . وشملت احاديث اختطاف النساء وعشرتها والبكاء على المفقودين من رفقاء العيش والقنص والراحلين من الاخوان والابناء الاعزاء ؛ وكان فيها الشيء الكثير من اغاني الرقص التقليدي واغاني الرقص الروحي تقرباً من الآلهة واسترضاء لها وتعبداً لاعمالها واستجداء لكرمها ؛ وقد ورث هؤلاء الاوائل ابناءهم اديانهم وعقائدهم وتقاليدهم وحكمهم وخرافاتهم وآدابهم في بطون هذا الكلام الموزون الذي ساعد الثقافة الاولى مساعدة الكتابة والطبع في الاعصر اللاحقة وذلك بسبب سهولة حفظه ونقله وتلاوته فكان اشبه شيء بموسوعات مطبوعة تخاطفتها الايدي وتناقلتها الالسن قبل ظهور (جوتنبرج) ومطبعته في اوائل القرن الخامس عشر

وغني عن البيان ان هذه الموضوعات التي تناولتها قصائدهم هي اس الموضوعات التي نباهي بها اليوم ونفتخر ان تتناولها قصائدنا ، وعليها قامت أوضاعنا من حروب وانتصارات واعراس ومآتم واديان وعبادات وتقاليد وشعائر وملوك وأرباب

ولا مراء ان قصائدهم كانت طافحة بما انطبع في قلب الانسان من الالم المفجع الذي اصابه من الد اعدائه وهو اخوه الانسان فكان فيها روعة الشعر الحي الذي نشاهده في عصرنا في القصائد التي تعالج انانية البشر وما انطوت عليه قلوبهم من اللؤم والاذى . لا جرم ان قصيدة تليت او كتبت منذ الف او الفين من السنين تقرأ اليوم كانها كتبت بالامس لان موضوعها حي يتصل باعماق الحياة الانسانية

(1) Outline of Sociology, p. 59

الذاكرة والشعر القديم

وفي الحق اننا ونحن في القرن العشرين ما زلنا نتمشى بأدب ما قبل التاريخ ، فأولادنا في طفولتهم وهم من الانطباع الثابت يسمعون اقاصيص الغيلان والمردة والجان واخبار العمالقة والابطال واوصاف القوى العجيبة وما لها من اسرار وحديث ادب السلوك وحسن المعاشرة وهم في حجر امهاتهم على الفرش الوثيرة بصورة لا تختلف كثيراً عن مثلها لما كانت الامهات يفترشن القش ويلتحفن الجلود في الكهوف والغابات ، وعلينا ان نذكر دائماً ان مثل هذه الاخبار الشعرية المتصلة بالحياة المنفعلة الاولى وما فيها من المواقف العاطفية الجامحة لا تزول من النفوس بل وجد أهل التتبع والاستقصاء مثلاً ان الطوائف الامية الجاهلة النازلة بالاصقاع الجبلية المنقطعة في ولايتي (كنتكي) و(تنسي) من الولايات المتحدة يرددون بعض القصائد العتيقة التي اثرت في عشائرهم والتي وصلت اليهم بطريق الالسنة من قصص شعرية قديمة حملها اجدادهم معهم الى تلك البلاد من انكلترا منذ هاجروا بدينهم من الاضطهادات . ولما قورنت هذه القصائد بالكتب التي دونت فيها النصوص الشعرية الاصلية في اواخر القرون الوسطى وجدت سليمة في جوهرها ولم تصب الا بعض تشويه في انتقالها على الالسنة والشفاه وسيرها من القلب الى القلب

* * *

ولا شك ان مثل هذا الدور الخفي المتوقف على قوة الذاكرة في الشعوب الامية القديمة تناول كنوزنا الادبية الثمينة احقاباً قبل ان يتيسر تدوينها ، فقد استبقت هذه الشعوب على بلابل الشعر تغرد في فجر المدنية فلم يكن لديها وسيلة تدون بها هذا الغناء الفتان سوى طبعه على صحائف القلوب وترديده على الالسنة في الاعياد الحافلة كما تدار اسطوانات الحاكي في الحفلات والمقاهي اليوم وحسبي أن أذكر أسماء هذه اللآلئ الادبية الثمينة التي انارت الظلمة في العصر القديم ليعرف القارئ منها شدة نفوذ الادب ولا سيما الشعر في تكوين الامم والتحكم بسيرتها : «فالالياذة» و«الاوديسة» لهوميروس و«الاعمال والايام» لهزيود واغاني «الفيدا» عند الهندوكيين والاجزاء الشعرية من العهد القديم ، ثم ما ظهر بعد ذلك من الطرائف النادرة في جزيرة العرب في العصرين الجاهلي والاسلامي قبل التدوين واتخاذ العظام وسعف النخل وورق الغزال اداة للكتابة ، ان هذه الكنوز الادبية الغالية التي هي تراثنا الروحي الخالد يدلنا مجرد ذكرها على سلطان الشعر على الامم المتنوعة من اليونان والرومان وابناء عمومتهم الهنود الآريين الى اليهود الساميين ومن دان بالعهد القديم من الامم النصرانية فالعرب وسائر من دان بالاسلام في المشارق والمغارب

الشعر العربي

ومع كل التحريف والتلفيق والدس الذي انزله القصصيون والرواة بالشعر الجاهلي فهو بالاجمال مرآة صافية يتجلى فيها مجتمع تلك العصور السحيقة وقد قام بوظيفته في تثبيت الحياة العربية وتأييد الاخلاق الفطرية السليمة ليس في الجزيرة فقط بل في جميع الاقطار التي استولت عليها الجيوش العربية وانتصبت فيها المنابر وارتفعت المآذن . وانك وانت في بلاد الهند أو في القرم أو في التركستان الصينية مثلاً لترى في سيرة الافراد وفي مقاييسهم الاخلاقية ما يعيد إلى ذاكرتك الشيء الكثير من اخبار الحجاز في جاهليته دع عنك ما فعله الادب العربي الاسلامي بواسطة الدين من المعجزات في هذا المضمار

ومما يستوقف الانظار ان نخبة من اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت قامت منذ حين بدرس بعض الشؤون الاجتماعية في الشرق الادنى ولا سيما في سورية فرأت الفضائل الآتية ماثلة في اهله وهي (١) الاباء أو عزة النفس (٢) الوفاء (٣) قرى الضيف (٤) الميل الفطري للدين (٥) العطف والمواساة (٦) الاهتمام بالاعراض وما للمرأة من ميزة خاصة . فمن يقرأ كتبا في الادب العربي الصميم يرى جاهلياً كان هذا الادب أم اسلامياً ولا يرى هذه الخصال ظاهرة فيه ظهور الشمس في رابعة النهار ? ولعمري ان المرء ليستطيع ان ينسلخ من جلده ولا يستطيع ان ينسلخ من تأثير العقل الاجتماعي الادبي حواليه ، وما نحن في الواقع الا سمك يعوم في لجة هذا البحر الذي يحيط بنا من كل جانب ، ولأهون على المرء ان ينكر فعل الاجواء والاهواء والانهار والجبال والوهاد والوديان في جسم المرء من ان ينكر فعل الادب في عقله

ويلوح لي ان الجزء العقلي الممزوج في الشعر بالجزء الادبي يكسبه تفوقاً ظاهراً على سائر الفنون الجميلة ، ولئن كان التصوير تمثيلاً بالخطوط والالوان ، والموسيقى تمثيلاً بالانغام والالحان فالشعر تمثيل بالقوافي والاوزان . فالتصوير شعر صامت والشعر تصوير ناطق

قال (ثيودور وطس) « ليس في مقدور احد ان يخط كلمة واحدة في الشعر ما لم يولد من جديد — ما لم يهبط من الملأ الاعلى مرة ثانية

« ثم ما هو الفرق بين الشاعر والناثر ? افلا يجوز للكاتب ان يتحلى بشيء آخر غير الشعر ? ألا يكون محارباً ايضاً كما كان اسكيلوس ، وتاجراً كشكسبير ، ونديم الملوك كتشوسر ، وفيلسوفاً خليعاً كغوته ? بيد انه في اللحظة التي تحل عليه فيها الشاعرية يتعرى من تلك الكسى الدنيوية التي اكتسى بها منذ سنين ، فيزول من نفسه جميع ما للدنيا من علم واثانية واستخفاف وطموح ، ويصبح طفلاً ملهماً من جديد باذنين مطبقتين في النغم على تلك الهمسات التي تهب من (العصر الذهبي) — لما كانت السعادة باسطة جناحيها على هذا الانسان المتعب — فينتشر اريجها المنعش في هذه الارض الفاسدة ويطهرها من الارجاس »

وعلماء التربية والاجتماع اهتمام خاص بتاريخ الادب وذلك لانهم يرون فيه ميداناً متسعاً لنشر التربية الاجتماعية والتثقيف الفني ، والادب مرآة تتجلى فيها صورة المجتمع ، وتكون هذه الصورة في احدث طراز ، لان الادب يتوقف في شكله ومادته على الاحوال الاجتماعية المستجدة ، والشعراء في اشعر الناس بالطوارىء وقلوبهم اوتار حساسة ما اسرعها إلى الاهتزاز برجات الانقلاب والثورة ، وكما ان الشعر صورة الشاعر كذلك الشاعر صورة المجتمع ، بل الشاعر كما قال الاستاذ (بلندر) [1] نقطة الاحتراق تلتقي فيه جميع الاشعة المنتشرة من الحياة الاجتماعية المضيئة حواليه فيكسبها شكلاً فنياً وبياناً لفظياً بما تحلت به شخصيته من الميزات وسواء أكان الشعر غنائياً أم قصصياً ، ارشادياً تجريبياً أم تمثيلياً فنجاحه في التأثير في قلوب الناس يتوقف على الاحوال الاجتماعية التي يعيشون تحت سمائها

والشعر العربي هو مثل الغناء العربي طافح بالحزن والاسى والتوجع والبكاء لانه لا يردد فقط مظالم الانسان من سلب ونهب وانتهاك حرمة وازهاق نفس بل يردد ايضاً مظالم الطبيعة من امراض فتاكة وسيول جارفة ورياح سامة ومجاعات قتالة وما اكثرها في بلاد العرب . والواقع ان الجزيرة العربية طبيعة خاصة في شدة التأثير في النفس واستخراج اللآلي الشعرية من اعماق الصدور . فالكواكب المتلألئة في سمائها الصافية الاديم استوقفت انظار البدو من اقدم الازمان وجذبتهم حتى كادوا يطيرون اليها من غير جناح ، والبوادي الجرداء القاحلة المنتشرة في ارجائها تحمد سالكيها رؤية الجمال الحي في كل برعمة على اية شجرة كانت من الشجر في الواحة ولو كانت شجر الشوك والسلان . ومعاطشها اليابسة المحرقة تولد في الصادىء عند وروده الماء لذة لا يدركها المتحصرن بالينابيع والانهار . وحدث لي في اواخر سنة ١٩١٥ — إذ كان الاتحاديون يتبعون اثري — انني تعاطت البادية الموحشة من (تدمر) الى قرب (الميادين) وانا اعيش على الماء الآسن الاجن الذي كان يزيد في غلتي فلما نزلت الفرات وذقت مصة من مائه العذب صحت باعلى صوتي « الكوثر . . الكوثر . . . وهذه جنات عدن تجري من تحتها الانهار » . ثم ان الهجرة الشاسعة وطي البيد الواسعة والابتعاد عن المنازل في الغزوات وطلب الكلأ مع رؤية الاطلال والمعالم والآثار وما تحدثه في النفس من الذكريات الماضية والايام الخالية كل ذلك من البواعث الشعرية الخاصة بالجزيرة . وكذلك المتحطم الخائف الجائع العادي متى وجد بيتاً من الشعر نزل به واهلاً امن بهم تجلى له الكرم « الحاتمي » باجلى مظاهره فسد البلغة يومئذ — ناهيك بعقر الناقة — يفعل في نفسه ما لا تفعله الولائم في القصور ، وباب الحرم يسدل عليه ليحميه من مطارديه امنع لديه من مدافع الحصون على حدود الدول . وقصارى القول ان مثل هذه البيئة البسيطة الجافة وما فيها من شظف العيش تبرز المعاني الشعرية بثوبها القشيب وهو ثوب الطبيعة الفتان

(1) Major Social Problems,p. 302

فقر العرب في الشعراء اليوم : يعلل بعض الباحثين فقر الامم الغربية في الشعراء ورغبتها عن الشعر بالمدنية المادية التي تغوص فيها الى مفرق الرأس ، وعندهم ان وسائل النقل الحديثة وانتشار الاباحية وزوال ذلك البرقع الجذاب عن وجه الانسانية واشتغال الدول بالشؤون الاقتصادية والسياسية وانهماك الافراد في تحصيل القوت الضروري والخلاصة زوال الاحوال الروائية عن ظهر الكرة الارضية كل ذلك من العوامل التي ذهبت برشاقة النظم وقضت على دولة الشعر ، حتى ان جائزة كبيرة عرضت منذ امد قريب في فرنسا للمجلي في حلبة الشعر فلم يتسابق للحصول عليها احد . ولكن من حسن الحظ ان الناظمين اذا قلوا فان المستمعين ما زالوا عند حسن الظن بهم ؛ وفي عقيدتي انه ليس الشاعر من نظم الشعر ولا الموسيقي من وقّع الالحان، بل قد يكون المرء شاعراً وموسيقياً بالفهم والطرب ، ذلك فنان ايجابي وهذا فنان سلبي . والمظنون ان هذه الفترة التي نعانيها في الزهد بالشعر هي فترة موقتة او سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع وذلك عند ما نألف عبث الجديد المزدحم بالحوادث والسكان فتعود الينا غرائزنا المنفعلة الاولى وتثور فينا موانع الاضطراب وتسترجع هذه الدنيا السمحة جوها الروائي الجذاب

الشعر والثورة

وقد لا نبتعد عن الصواب كثيراً اذا نحن قلنا ان هذه الانقلابات الاقتصادية المادية التي نعانيها في هذا العصر ليست بمعزل عن الشعر بتاتاً بل قد يكون الشعر بمعناه السيكولوجي من ادعى دواعيها ، وسبب ذلك ان هذه الحياة العقلية التي تولد وتدب وتدرج في احضانها هي التي يطلق عليها في الاصطلاح العلمي اسم « العقل الاجتماعي » وهذا العقل المتصرف في حركاتنا وسكناتنا لولا اللغة وما انطوت عليه من الادب الرائع ما كان له سلطان على قلوبنا وهو بواسطة ما يحدثه في الافراد من رأي مشترك يسمى « الرأي العام » يولد الثورة ويغذيها. ولكن لا شيء اهون على الباحث من اظهار العلاقة المتينة بين المواقف الشعرية والتأثير في « الرأي العام » . فكم من مظلمة ناح من اجلها الشعراء فأغضبت الرأي العام وهاجته ولم تنطفىء جذوة هذا الغضب إلاَّ بالثورة . والجمعيات التي مثلت اخطر الادوار في سياسة الامم هي التي عرفت كيف تحرك الرأي العام بما تبثهُ من الدعايات الشعرية المهيجة وربما استغلت الحادثة الواحدة الطارئة عرضاً فأحدثت بسببها الانقلاب المنشود

وقد ذهب (اوغست كونت) في فلسفته الحسية الى ان « الفكرة » هي التي تدفع الى العمل ، ولكن الفكرة الجامدة الخالية من الروح — الفكرة الباردة المجردة — لا تستطيع ان تعمل عملاً مباشراً بل لا بدَّ لها من ان تكون فكرة منفعلة هائجة اولاً ومتزينة بالادب ومتحلية بالشعر لتستحوذ على ارادة الناس ، وان قول تلك البدوية لاهلها في قصيدة تشكي

بها على الاعداء الذين أسروها « ثم « ضربوا موضع العفة مني بالعصا » ، ونداء تلك الحضرية مستجيرة بالخليفة في بغداد بقولها « وامعتصماه » وبيت الشعر الذي قاله المتنبي

« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم »

ان هذه الاقوال الهائجة أحدثت في العالم العربي من الاضطرابات اضعاف اضعاف ما عمله اقليدس بهندسته وبقراط بمزجه ونيوتن بجاذبيته ورونتجن باشعته ، وقد رأيت المجاهدين من بني معروف في الثورة السورية الاخيرة يقتحمون مدافع الفرنسيين بصدورهم وهم يصيحون باعلى اصواتهم مذكرين الجنرال غاملان بوقائعهم الماضية

« ممدوح وساي قبلك خرجوا من السويداء »

ثم ما هي كلمات « حرية » و « مساواة » و « اخاء » وغيرها من الكلمات الحية التي قلبت وجه الارض وخضبته بالدماء ؟ أليست كلها احتجاجاً شعرياً صادراً من اعماق القلب على الاستعباد والظلم والاثرة المفرقة ؟ وهل هنالك موقف يهيج كوامن الالم اكثر من ان يرى الانسان اخاه الانسان مكبلاً بالاصفاد ومداساً بالاقدام وسائقاً للاستثمار كما تساق الغنم للذبح ! ان هذه المواقف الشعرية المؤلمة تعمل اليوم في الشرق ما عملته فكرة « الحقوق الطبيعية » في الثورتين الكبيرتين الاميركية والفرنسية

وبديهي ان تكون الافكار حافزة الى العمل ودافعة الى الاضطراب بقدر ما فيها من عناصر الانفعال والتهيج لان ما يصدر من القلب كما قال الشاعر (وردزورث) يسيل الى القلب ، وما دام التصوير والموسيقى والشعر هي الوسائط المعبرة عن اخفى الشعور والمفصحة عن ادق الانطباعات المنقوشة على صفحات الصدور — ما دامت هذه الفنون الجميلة هي تأثرنا من الطبيعة المحيطة بنا من كل جانب بافراحها واتراحها فهي القوة الاجتماعية الدافعة في المقام الاول . ولئن كان آدم البشر الحقيقي كما قال (منصن) هو اول من حمل آلة استعان بها نسله على مكافحة الطبيعة فان حواءهم الحقيقية هي اول من علمت ابناءها اغنية من الشعر ايقظت بها ارواحهم الخاملة ، وكما ان خلايا اجسامنا مؤلفة من العناصر المادية التي تحيط بنا كذلك « خلايا » عقولنا مؤلفة من الحياة العقلية التي اوجدناها ونحن ننمو في وسطها وانّنا لنستدر الهامنا منها كما يستدر الطفل اللبن من ثدي أمه

ولقد اجاد (مونتسكيو) كل الاجادة عندما وصف التفاعل السياسي بين الدولة والافراد بقوله « في طفولية الامم يربي الرجل الدولة ، ولكن في رشدها تربي الدولة الرجل » وكذلك الحال في التفاعل الادبي الروحي ، ففي الحياة الابتدائية تربي العقول دولة الادب ولكن في الحياة الراقية تربي دولة الادب العقول ، لانها تربي الشعراء والادباء والعلماء والحكماء جميعاً ، ونحن أبناء محيطنا العقلي كما نحن أبناء محيطنا المادي

الاهة الشعر الغنائي

لوحة في مكتبة الكنغرس بوشنطن تمثل الاهة الشعر الغنائي في الوسط ووصيفاتها من اليسار الى اليمين تمثل الطرب والجمال والشهوة والحنو والعاطفة والاخلاص وهي عناصر الشعر الغنائي في نظر المصور